من خزانة الفقه الحنفي

تعاليق الأنوار على الدر المختار

حاشية

للإمام أبي الفوز، عبدالمولى بن عبدالله بن عبدالقادر بن عبدالرحمن
المغربي الدمياطي الحنفي مفتي دمياط [ت: 1262هـ]

تلميذ السيد أحمد الطحطاوي (ت: ١٢٣٣هـ)
صاحب الحاشية الشهيرة على الدر المختار

تطبع لأول مرة، وهي طبعة محققة ومقابلة على ثلاث نسخ خطية
منها نسخة بخط المؤلف

وهي من أبرز مصادر ابن عابدين الشامي (ت: ١٢٥٢هـ)
في حاشيته على الدر المختار

الجزء الأول

مقدمه التحقيق والدراسة

حقّق نصوصه وعلّق عليه

حبيب الله أختر بن محمد أمين أختر

قدّم له وأشرف عليه

فضيلة الشيخ العلامة
المفتي محمد سعيد خان

فضيلة الشيخ
محمد سجّاد الحجابي

مركز إحياء التراث الإسلامي

إسلام آباد، باكستان

مقدمة التحقيق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالمين، الرحمنِ الرحيمِ، مالكِ يومِ الدين، والصلاة والسلام على سيدِ الأنبياءِ والمرسَلِين، وعلى آلِه وأصحابِه ومن والاه ووالاهم بإحسانٍ إلى يومِ الدين.

وأشهد أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، وأعوذ بالله من شرورِ نفسي وسيئات أعمالي، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلِلْهُ فلا هادي له.

أما بعد:

فإن من أفضلِ وأنفعِ علومِ الدين علمُ الفقه، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: 269]، وقد فسّر الحكمة زمرةُ أربابِ التفسير بعلم الفقه، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من يرد الله به خيرا يفقه في الدين»، وقيل:

وخيرُ علومِ علمُ فقهٍ لأنَّه يكون إلى كلِّ العلوم توسُّلا

وقيل أيضا:

تفقَّـه فـإن الفقـه أفضـل قائـدٍ إلى البرِّ والتقوى وأعدل قاصـدِ
وكن مسـتفيداً كـلَّ يـوم زيـادةً من الفقه واسبَحْ في بحور الفوائد
فـإن فقيهـاً واحـداً متورعـاً أشدُّ على الشيطان من ألـف عابـدِ

وقال في «المتلقط» وغيرِه عن محمد:

لا ينبغي للرجل أن يُعرَف بالشعر والنحو؛ لأنَّ آخرَ أمرِه إلى المسألة وتعليمِ الصبيان، ولا بالحساب؛ لأنَّ آخرَ أمرِه إلى مساحة الأرضين، ولا بالتفسير؛ لأن آخر أمره إلى التذكير والقصص، بل يكون علمُه في الحلال والحرام، وما لا بُدَّ منه من الأحكام، كما قيل:

إذا مـا اعتـزَّ ذُو علـمٍ بعلـمٍ فعلـم الفقـه أولى بـاعتزاز
فكمْ طِيْـبٍ يفـوح ولا كمسـكٍ وكـم طـير يطـير ولا كبـاز

وفضلُ علم الفقه على علم الحديث ثابتٌ من حيث أن الفِقْهَ ثمرةُ الحديث، وليس ثواب الفقيه أقلُّ من ثوب المحدِّث[1]، وفضائل علم الفقه كثيرة شهيرة مُبيَّنةٌ في مواضعها.

(1) مأخوذ من مقدمة «المختار» للحصكفي (ص: 11ـ وما بعدها).

ومن أَقْدمِ مذاهب الفقهية هو المذهب الحنفي، وقد قالوا: الفقه زرعه عبدُ الله بنُ مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وسقاه علمةُ، وحصده إبراهيم النخعيُّ، وداسه حماد، وطحنه أبو حنيفة، وعجنه أبو يوسف، وخبزه محمد، فسائر الناس يأكلون من خبزه.

وقد ظهر علمُ الإمام محمد الشيباني رحمه الله بكتبه الشهيرة بظاهر الرواية والنوادر، وبِكُتُبِه شاع وذاع المذهبُ الحنفيُّ في الآفاق من أوَّل القَرْن الثاني الهجري إلى يومنا هذا.

ومن تلامذته الإمام الشافعيُّ رحمه الله، وتزوَّج بأمِّ الشافعيِّ رحمه الله وفوَّض إليه كُتبَه وماله، فبسببِه صار الشافعي رحمه الله فقيهاً، ولقد أنصَفَ الشافعيُّ رحمه الله حيث قال: من أراد الفقه فليلزَم أصحابَ أبي حنيفة رحمه الله، فإنَّ المعاني قد تيسَّرَتْ لهم، واللهِ ما صِرْتُ فقيهاً إلا بكتب محمد بن الحسن[1].

وبعد كُتبِ الإمام محمد الشيباني رحمه الله خُدِم المذهبُ الحنفيُّ بمصنَّفاتٍ جليلةٍ ووفيرةٍ على مرِّ الدهور والعصور إلى تصنيف «مجلة الأحكام

(1) مقدمة «المختار» للحصكفي (ص: 13).

العدلية» وشروحها على امتداد نيِّفٍ واثني عشر قرناً من عمر الزمان، وقد استمرَّ المذهب الحنفي في أغلبها مذهب الدولة، وهذا شيء ليس بالقليل.

ومن أبرزِ هذه المصنَّفات المتأخرة كتابُ متن «تنوير الأبصار وجامع البحار» للتمرتاشي الغزي الحنفي ﷺ (ت: 1004هـ)، وقد قامت أعمال علمية عديدة على هذا المتن تدلُّ على اهتمام العلماء وعنايتهم البالغة الخاصّة به، واعتمادِهم له[1]، ومن أجلِّ شروحه وأعظمِها وأشهرِها: «الدر المختار» للعلامة علاء الدين الحصكفي ﷺ (ت:1088هـ).

وقد عنى فقهاء الحنفية بـ«الدر المختار» عنايةً خاصّةً فائقة، وأكبّو عليه، واهتمُّوا به اهتماما بالغا، فكتبوا عليه الشروح والحواشي

(1) ونفصِّل الكلام على متن «تنوير الأبصار وجامع البحار» وشروحه، ومصنفِه التمرتاشي في الدراسة إن شاء الله تعالى.

والتعليقات، لشرحه وتحقيقه وتحريره وتدقيقه[1]، ولقي من الشروح والحواشي ما لم يلقَ كتاب آخر بعد «الهداية» للمرغيناني فيما أحسب[2]، وأكثر هذه الشروح والحواشي لا زال مخطوطا لم يطبع بعد.

ومن أشهرها تداولاً واعتماداً: حاشية السيد أحمد الطحطاوي (ت:1232هـ)، وحاشية ابن عابدين الشامي (ت: 1252هـ)، وهاتان الحاشيتان غنيتان عن كتابة كلمة حول تعارفهما وترجمتهما، خصوصا عند الحنفية.

فالكتاب: «**تعاليق الأنوار على الدر المختار**» لعبد المولى بن عبد الله بن عبد القادر بن عبد الرحمن، أبي الفوز، الدمياطي، المغربي (ت:1238هـ)، الذي أخترتُه للتحقيق هو من أهمِّ الحواشي الطويلة المفصَّلة التي وُضِعَتْ على كتاب «الدر المختار»، ومصنِّفُه الدمياطي هو

(1) وسنُطيلُ الكلام بذكر «الدر المختار» ومصنِّفه الحصكفي، وشروحِه وحواشيه في الدراسة، إن شاء الله تعالى.

(2) قال ذلك الدكتور محمد عبد اللطيف صالح الفرفور في كتابه: «ابن عابدين وأثره في الفقه الإسلامي» (ج: 1، ص: 648).

من تلامذة السيد أحمد الطحطاوي هذا، وهذا الأمر يكفي لأهميَّة هذه الحاشية، وهو الذي حثَّني ابتداءً على خدمة هذه الحاشيةِ القيمةِ النفيسةِ.

كنتُ آنذاك بصددِ تبييضِ كتابِ «طوالع الأنوار شرح الدر المختار» للعلامة محمد عابد السندي (ت: 1258هـ) بأمر معالي الشيخ المفتي محمد سعيد خان حفظه الله تعالى ورعاه، في مكتبته القيِّمة النفيسة: «مكتبة الندوة» بإسلام أباد ـ عاصمة الجمهورية الإسلامية باكستان، وهو أوَّلُ مخطوطٍ بدأتُ في تبييضه بعد أن أنهيتُ شهادة التخصُّص في علمِ الفقه في جامعة دار القرآن، فيصل أباد ـ باكستان.

والشيخ حفظه الله كان يريد تحقيقَ كتاب «طوالع الأنوار» بنفسه، وفوَّض إليّ أمرَ التبييض فقط، وفي أثناء التبييض قال لي يوماً: عندنا في المكتبة شروح وحواشي أخرى مخطوطة على «الدر المختار»، وأنت ما شاء الله قد تدرَّبْتَ على التبييض، فاخترْ منها مخطوطاً كي تبيِّضَه وتحقِّقَه أنت بنفسك، وإذا كان المخطوط من شروح أو حواشي «الدر المختار»

فيزيدك سهولةً ويسراً، وبذلك تتدرَّب على التحقيق والتعليق على المخطوط.

ويعلم العارفون أنَّ تحقيق التراث وطبع المخطوطات بدأ بعد ظهور الطباعة قبل خمسة قرون، ومع مرور الزمن أصبح فنّاً مستقلًّا يُدرَّس في الجامعات، وله أصول وضوابط وقواعد خاصة، ووُضعتْ فيه كتب كثيرة، ومن الأسف الشديد على أنَّ هذا الفن لا يُدرَّس في بلادنا، لا في الجامعات المعاصرة إلا نادراً، ولا في المدارس الإسلامية، كما يدرّس في بلاد العرب، في جامعاتهم ومدارسهم.

فبهذا السبب هذا العملُ كان جديداً لي، وقد احتجْتُ إلى التدريب والتجربة، وعندما حصل لي التجربة بتبييض كتاب «طوالع الأنوار» وبعض مخطوطات أُخَر قال لي الشيخ ما ذكرتُ آنفاً، و أيضا في أثناء التبييض قرأتُ بعضَ الكتب حول أصولِ تحقيقِ المخطوطاتِ، مثل «تحقيق النصوص ونشرها» لعبد السلام هارن، و«قواعد تحقيق المخطوطات» لصلاح الدين المنجد، وقرأتُ كتاب «تحقيق المخطوطات» للدكتور يوسف المرعشلي كاملاً على الشيخ المحقق في

العقائد الإسلامية وعلمِ الكلام، محمد سجاد الحجابي، فهذه الكُتُبُ زادتني تجربةً، وحثَّتني على أن أقومَ بخدمة تراثنا الفاخر القيِّم.

وجزى الله الشيخ خير ما يجزي المحسنين على القيام بخدمة التراث في بلادنا حيث لا توجد منظَّمةٌ ولا إدارةٌ واحدةٌ مستقلةٌ لخدمةِ التراث وطبعِ المخطوطات، وعلى تشجيعِه وتأييده إيّايَ على خدمة التراث.

فبعد أمر الشيخ نظرتُ في المخطوطات فوجدتُّ نسخة لهذه الحاشية، هذه النسخة واضحة جداً، قد حصلَها الشيخ المفتي من جامعة لِيدَن عند ما ذهب إليه[1]، ولما رأيتُ على غلافِ النسخة اسمَ المؤلِّف الدمياطي وقد كُتبَ معه: «تلميذ السيد أحمد الطحطاوي»، فسرَرْتُ بذلك كثيراً، وكيف لا يسُرُّ أحدٌ الذي يعرف عظمةَ الشيخ السيد أحمد الطحطاوي وحاشيته على الدر، فإن حاشية الطحطاوي هذه هي من أعظم وأبرز مصادر ابن عابدين الشامي في حاشيته على الدر، وابنُ عابدين هو ابنُ عابدين!!

(1) ومن الأسف هذه النسخة ناقصة، وسأذكر تفاصيل هذه النسخة في الدراسة، إن شاء الله تعالى.

ولما قرأتُ مقدَّمة المخطوط علمتُ أنَّ أصلَ هذه الحاشية هي الحواشي التي كتبها المصنف الدمياطي في درس شيخه على هامش نسخة الدر المختار، ومن العجب أنّه ليس عند المصنِّف وقت تصنيف هذه الحاشية حاشيةَ شيخِه الطحطاوي على الدر، ذكر ذلك كله الدمياطي في مقدمة حاشيته، وهذا أمرٌ هامٌّ جداً؛ لأنَّ به وصل إلينا علوم وإفادات السيد أحمد الطحطاوي التي لا توجد في كتبه المطبوعة[1].

ومع ذلك كلِّه هذه الحاشية أيضا من مراجع ابن عابدين الشامي في حاشيته على الدُّر، كما ذكره الدكتور محمد عبد اللطيف صالح الفرفو في كتابه: «ابن عابدين وأثره في الفقه الأسلامي»، ذكره في فهرس: «أبرز مصادر حاشية ابن عابدين من شروح وحواشي الدر المختار»[2]،

(1) وسنذكر بعض الأمثلة لذلك في الدراسة إن شاء الله تعالى.

(2) ينظر: (ج: 2، ص: 750، الباب الثالث: دراسة الحاشية، الفصل الرابع: مصادر الحاشية ومراجعها، المبحث الأول: أبرز مصادر الحاشية من شروح التنوير وشروح الدر، المطلب الثاني: أبرز مصادر الحاشية من شروح الدر (الحواشي الأخرى)). وقال: اعتمد ابن

وهذا أمرٌ لا أستطيع أن أصدقه ولا أن أكذبه؛ لأنه لا دليل عندي إلى الآن نفيا وإثباتا.

فذكرتُ ذلك كلَّه للشيخ، فسُرَّ بذلك كثيرا جداً، وأجاز لي بتبييض وتحقيق هذه النسخة، فشمَّرتُ ساعدَ الجِدِّ وبدأتُ في العمل مستعيناً بالله تعالى، فإنه هو المستعان وعليه التكلان.

ويناسب المقام أن أذكرَ بعضَ الأمور التي واجهتني أثناء العمل:

1. لما أتيتُ إلى مكتبة الشيخ المفتي كانت عليَّ مسؤليات أخرى غيرَ تحقيق هذا الكتاب، مثلُ تبييض كتاب «طوالع الأنوار شرح الدر المختار» كما ذكرتُ لك قبيل هذا، وتبييض بعض مخطوطاتٍ أخرى، وكتابةُ أجوبة الاستفتاءات الآتية عند الشيخ، ومساعدة الشيخ المفتي في أعماله العلمية أخرى، وإعادة النظر في مجلّة المكتبة وغير ذلك من الأمور الكثيرة،

عابدين من شروح الدر في الأغلب حسبما ظهر لي من الاستقراء الكتب التالية، فذكر أحد عشر كتابا، التاسعة منها حاشيتنا هذه.

فبعد الفراغ من هذه المسؤليات كنت اشتغل بتحقيق الكتاب.

2. قمتُ بتبيض هذه النسخ على الحاسوب بنفسي، وأيضا بجميع التنسيقات الأخرى المتعلقة بالكتاب، وواجهتني في ذلك مشاكل كثيرة، وصرفت فيه كثيرا من أوقاتي.

3. لقد هيَّأ لي فضيلة الشيخ المفتي جميعَ أسباب المساعدة في التحقيق، وكان يأتي بجميع الكتب المطلوبة من مصادر هذه الحاشية ومراجعه مخطوطا كان أو مطبوعا كلما طلبتُه، بقدرِ استطاعتِه من شتى البلاد ودُوَل أخرى، وجهودُه في ذلك مشكورة وممنونة.

وقسَّمتُ الكتاب على قسمين، القسم الأول: الدراسة، وأذكرُ فيه إن شاء الله تعالى:

1. ترجمة الماتن التمرتاشي، والشارح الحصكفي، والمحشي عبد المولى الدمياطي بالتفصيل.

2. أهمية هذه الحاشية بين حواشي الأخرى للد المختار، وتوثيق نسبته للمؤلف، ومنهجه.

3. دراسة النسخ الخطية وعرض نماذج منها.

4. فهارس عما صنف حول كلٍّ من تنوير الأبصار والدر المختار من الشروح والحواشي مع بيان المطبوع والمخطوط منها.

5. منهجي في التحقيق.

6. المقدمات العلمية للكتاب.

والقسم الثاني: النص المحقق.

وفي الختام: أشكر ربِّي الرحمن الرحيم جلّ وعلا أوّلاً الذي وفقني بخدمة هذا الكتاب، ولم يحرمني من خدمة دينه الحنيف بسبب المعاصي، اللَّهم لك الحمد كما ينبغي لجلالِ وجهِك وعظيمِ سلطانِك، ولك الحمد مِلأَ السماواتِ والأرضِ، ومِلأَ ما بينهما، ومِلأَ ما شئتَ من شيءٍ بعدُ.

وثانياً أقدِّم غايةَ شكري ونهايةَ تقديري لصاحب الخُلُق الحسنة، ومصاحبُ الأخلاق الحميدةِ، والمربِّي الشفيق، سيدي وشيخي

وأستاذي: العلامة المفتي محمد سعيد خان حفظ الله تعالى ورعاه، الذي أرشدني إلى خدمة التراث، وهيَّأَ لِي مكتبته الفاخرة «مكتبة الندوة»، فبسبب الشيخ ومكتبته القيمة قمتُ مع توفيقِ الله جل وعلا بهذه الخدمة اليسيرة، والجهد المقل، ولولاهما لا امتنع لي هذا، فأشكرُ سماحته وأدعو له أنْ يوفِّقَه اللهُ جل وعلا للمزيد مثل هذه الأمور الخيرية، وجزاه عني خير ما يجزي المحسنين.

وثالثا أُقدِّم شكري وتقديري لسماحة الشيخ الكريم الفاضل، الشيخ محمد سجاد الحجابي حفظه الله تعالى ورعاه، حيث أشرف على عملي هذا، وبذل جهدَه ووقته في إصلاحه وتهذيبه، وشرّفني بآرائه المفيدة القيمة، فجزاه الله عزوجل خيراً على هذا الإشراف.

وأخيرا: الشكر والتقدير من العبد الضعيف لكلِّ منْ مدّ يدَ العونِ والمساعدةِ إليَّ في هذا العمل، وكلِّ من أعانني فيه بأيِّ جهةٍ من جهات الإعانة، ولعلّ ذكرُهم واحداً واحداً يُفضي إلى التطويل الذي لا يناسب المقام، فأشكرُهم جميعاً، وأدعو لهم.

وأسأل الله جلَّ وعلا أن يتقبَّل مني هذا العمل، فإن هذا جهد العبد المقِلّ، وأن يوفِّقَني دائماً لخدمةِ دينِه الحنيفِ على الوجه الذي يُحِبُّه ويرضاه، وأن يغفرَ لنا ولوالدينا وذرِّياتِنا وأساتذتِنا ومشايخِنا، ولجميعِ المؤمنين والمؤمنات والمسليمن والمسلمات، وصلى الله تعالى على سيدنا محمدٍ، وعلى آله وأصحابه وأهلِ بيتِه وأمّتِه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه

حبيب الله أختر بن مولانا محمد أمين أختر

عضو قسم تحقيق التراث في «ندودة المصنفين»

ندوة العلماء ـ إسلام أباد، باكستان

15/ صفر المظفر/ 1438

16 / نوفمبر / 2016